التذكير و التأنيث في العامية العراقية وعلاقتها بالفصحى
دراسة في الموروث

م.د.صفا رضا عبيد
كليــة العلــوم /جامعــة النهريــن

(خلاصة البحث)

ظاهرة التذكير والتأنيث من الدراسات النحوية المهمة , لما يترتب عليها من اثر في تركيب الجملة , واللفظ إما مذكر وإما مؤنث , ومخالفة استعمال احدهما موضع الآخر يخل في تمام دراسة اللغة , لان تركيب الجملة , لا يخلو من كونه إنشائياً أو طلبياً أو خبرياً , ولكل منها ضمائر مختصة , فعلاقة ظاهرة التذكير والتأنيث بدراسة اللغة جزء لا يتجزأ منها , قال أبو بكر بن محمد الانباري : " إنّ من تمام دراسة النحو والأعراب معرفة المذكر والمؤنث , لانّ من ذكرّ مؤنثاً أو أنث مذكراً , كان العيب لازماً له , كلزومه من نصب مرفوع أو خفض منصوباً "[1]

كان ظهور العامّية ملازماً للفصحى على مدى العصور السابقة , وقد بدا جلياً في العصور العباسّية حيث أشار الجاحظ في كتبه إلى ذلك من أن أمصارا كالكوفة والبصرة كانت تصرف أمورها في عاميات تقرب وتبعد عن اللغة الفصحى , فصار لابد من تسليط الضوء على تلك العاميات ليس لأهميتها ولكن اجتهاداً لخدمة اللغة الفصحى , وهذا ما دفعنا إلى تقديم هذا البحث الذي يشير الى بعض المفردات التي بدأت تأخذ أبعاداً لغويةً من حيث الأ صوات والدلالات اللفظية بل حتى من حيث التذكير والتأنيث .

وسيتم تسليط الضوء على تلك العاميات من حيث التذكير والتأنيث وعلاقتها بالفصحى كونهما أي العامية والفصحى تعدّ ثنائية من الظواهر اللغوية والاجتماعية التي تعرفها وعرفتها كل المجتمعات ذلك أن الأمر راجع في جوهره إلى اللغة ونشأتها ومراحل تطورها.قال تعا لى في كتابه الكريم " بآدم اسكن أنت وزوجك الجنة "[٢]أجرى الله سبحانه وتعالى الكون كل واحد من القرينين [3] فخلق ادم واتبعها بحواء عليهما السلام , فتجلت حكمته في فكرة الجنس من حيث الذكورة والأنوثة وكانت بذرة الاستمرار في الوجود , ولقد تنبه الإنسان منذ العصور الأولى إلى هذا الأمر وانعكس على لغته وتعبيره فقد است عمل الألفاظ للتفرقة بين المذكر والمؤنث ومنها أب وأم وولد وبنت وغيرها وأصبح من السهل التمييز بين المذكر والمؤنث خاصة وان الأشياء من حوله بسيطة ومحدودة وليس فيها تعقيد وكيف يواجه صعوبة وقد علم الله ادم الأسماء كلها[4] .أن بعض اللغات البدائية لا تميز بين المذكر والمؤنث فاستخدم صيغة واحدة في الضمائر والأفعال وبعض اللغات الأرقى تميز بين المذكر والمؤنث في الضمائر ولكنها لا تميز بينهما في الأفعال والصفات .

فهذه اللغة الانجليزية تميز بين المذكر فتطلق على ا لعاقل (he) وعلى المؤنث العاقل (she) بينما في الأفعال فاللغة الانجليزية لا تفرق بين المذكر والمؤنث she eats) or he eats) من حيث الأفعال ولا من حيث الصفة he is clever) or she is clever)

وهناك لغات لها طرقها في تقسيم الجنس فمثلا لغة ا لاجونكين تميز الكائنات الحية بجنس واللاحية بجنس أخر وأخرى تجعل لكل قوي وضخم جنس وكل ضعيف جنس أخر[5] .أما بعض اللغات فأنّها تقسم الجنس إلى ثلاثة أنواع مذكر ومؤنث ومحايد أي لا مذكر ولا مؤنث. وذكر الدكتور إبراهيم أنيس انّ أفرع اللغة اللاتينية القديمة

كالفرنسية والاسبانية فقدت الظاهرة الشائعة (الأسماء المحايدة) وأصبحت تذكر وتؤنث[6] .ويرى الدكتور رمضان عبد التواب انّ الساميات ومنها العربية قد وزعت القسم المحايد على القسمين الآخرين فراحت تذكر وتؤنث [7]. وقد تختلف اللغات فيما بينها من حيث التذكير والتأنيث فبعض الكلمات مؤ نثة في العربية مثل (الشمس) ولكنها مذكر في لغات أخرى كالفرنسية والأمثلة كثيرة[8].وقد أولى علمائنا الأوائل هذه الظاهرة عناية شديدة فألفوا كتبا ورسائل حول التذكير والتأنيث وصنفوا المذكر من المؤنث سواء كان التصنيف بحسب اللفظ وما يحمله من مدلول أنثوي أم كان سماعي [9] . وليس غريبا بعد ذلك إنّ يعد النحاة التذكير في العربية أصلاً والتأنيث فرعاً منه كما خلقت حواء من ادم عليهما السلام مما يدل على أصالة اللغة وذوقها الرفيع.

يقول سيبويه : الأشياء كلها أصلها التذكير , تختص بعد ذلك (يعني التأنيث) فكل مؤنث شيء ., والشيء يذكر , فالتذكير أول ويقول : أعلم ان المذكر أخف عليهم من المؤنث لان المذكر أولا وهو اشد تمكنا وإنما يخرج التأنيث من التذكير , الا ترى أنّ الشيء يقع على كل ما أخبر عنه قبل ان يعلم أذكر هو أم أنثى . والشيء يذكر[10] .ونرى بعد هذا العرض باختلاف كتب النحو واللغة في العربية في تقسيماتها للمؤنث, ولكنها تتفق في أنّه لا يتجاوز الأنواع:

المؤنث الحقيقي : وهو الذي يلد ويتناسل وحتى لو كان التناسل عن طريق البيض والتفريخ وله علامات ظاهرة أو مقدرة نحو : ليلى وهند[11] .

المؤنث المجازي : وهو الذي لا يلد ولا يتناسل سواء أكان لفظه مختوما بعلامة تأنيث ظاهرة نحو سفينة أو مقدرة نحو شمس ولا سبيل لمعرفته إلا عن طريق السماع ,

والمؤنث المجازي يخضع في استعماله لكثير من أحكام المؤنث الحقيقي خضوعاً واجباً في مواضع وجائزاً في أخرى مثل : وجوب تأنيث الضمير العائد عليه نحو الدار اتسعت وجوازه إذا قلنا اتسع الدار .

المؤنث المعنوي:ويشمل علامات تأنيث ظاهرة مع أن مدلوه مذكر نحو : (حمزة و زكريا) وهي أعلام رجال .

المؤنث المعنوي : وهو مؤنث حقيقي في مدلوله أو مجازي ويخلو لفظه من علامات **التأنيث الظاهرة نحو** : (زينب وسعاد) والمجازي فيه نحو (عين وبئر) ويجري عليه كثير من أحكام المؤنث الحقيقي والمجازي .

المؤنث اللفظي والمعنوي : وهو مؤنث تشتمل صيغته على علامة تأنيث ظاهرة ومدلوله مؤنث نحو فطمة وليلى ويخضع لأحكام المؤنث اللفظي والمؤنث المعنوي[12] .

علامات التأنيث

ذكر التصريفيُّون أن التأنيث فرع التذكير؛ لأنه الأصل في الأسماء؛ لذا فإنه يحتاج إلى علامة ك "احتياج التعريف إلى علامة؛ لأنه فرع التنكير، واحتياج النفي وشبهه إليها ؛ لأنّها فروع الإيجاب [13] ، ولا يجوز اجتماع علامتي تأنيث في اسم ، نسب أبو حَيَّان للخليل قولَه ع ن السلوى : إنها "اسم جنس واحدها سلواة ... والألف فيها للإلحاق، لا التأنيث، نحو علقى وعلقاة، إذ لو كانت للتأنيث لما أنث بالهاء"[14] ؛ لأنه لا تجتمع علامتا تأنيث ، وقد ذكر ذلك التصريفيُّون [15]، وقد نسب إلى أبي عمرو الشيباني ما ظاهره إجازة اجتماع علامتي تأنيث في اسم، قال أبو حيان : "أما ضهيأ بالهمز مقصوراً فهمزته زائدة كهمزة عرفئ ، أو ممدوداً فهمزته للتأنيث زائدة، أو ممدوداً بعده هاء التأنيث وعلامات التأنيث ثلاثة :

الألف المقصورة:

1. من علامات التأنيث الألف المقصورة[16]، والفرق بينها وبين ألف الإلحاق أنها لا تنون، وتنون ألف الإلحاق، قال أبو حَيَّان في قَولِهِ تَعَالَى {تَحْسَبُهُمْ جَمِيْعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}[17]: " قرأ الجمهور (شَتَّى) بألف التأنيث، ومبشر بن عبيد منوناً جعلها ألف الإلحاق "[18].

2. وللأسماء المؤنثة بالألف المقصورة أوزانٌ، مرها :

فُعْلَى :

تعرف الف التأنيث (المقصورة)

اسماً كأُنْثى ، ووصفاً كحُبْلى ، وكبرى ، ودنيا ، ومصدراً كرجعى بمعنى رجوع ، ومنه ما كان مؤنثاً لأَفْعَل ، نحو : كبرى مؤنث أكبر، ودنيا مؤنث أدنى ، والسُوْأَى مؤنث الأسوأ[19] .

فَعْلَى :

ومن اسم جمع كأسرى، وشتى، ومنه السلوى عند غير الخليل الذي جعلها "اسم جنس واحدها سلواة [20] ... والألف فيها للإلحاق، لا التأنيث، نحو علقى وعلقاة" وقال أبو حيان : " قال الكسائي : السلوى واحدة، وجمعها سلاوى، وقال الأخفش: جمعه و واحده بلفظ واحد، وقيل: جمع لا واحد لَه من لفظه" ، ومنه تَتْرَى عند غير كنانة فإن أبا حَيَّان ذكر أن "جمهور العرب على عدم تنوينه... وكنانة تنونه، وينبغي أن تكون الألف فيه للإلحاق كهي في علقى المنون ، وكتبه بالياء يَدُلُّ على ذلك، ومن زعم أن التنوين فيه كصبراً ونصراً فهو مخطئ ؛ لأنه يكون وزنه فَعْلاً، و لا يحفظ فيه الإعراب في الراء فنقول تترٌ في الرفع، وتترٍ في الجرِّ، لكن ألف الإلحاق في المصادر نادر، ولا يلزم وجود النظير، وقيل: تترى اسم جمع كأسرى"[21].

فَعَالَى : يكون على معاني الأسماء نحو خضارى وشقارى وحوارى جمعاً كاليتامى[22] ، والنصارى ، وقد ذكر أبو حَيَّان أن "هذا البناء – أعني فَعَالَى– جاء مقصوراً جمعاً، وجاء ممدوداً مفرداً، وألفه للتأنيث أيضاً، نحو بَرَاكَاء"[23] .

فُعَالَى :

جمعاً كحُبَالَى، ألف أُنْثَى للتأنيث ، وجمعت على إناث ... وقياس الجمع أُنَاثى كحُبْلَى وحُبَالى أوزان(25)،سالى , عجلان – عجالى[24] .

ألف التأنيث الممدودة:

للأسماء المؤنثة بألف التأنيث الممدودة أوزان[25] ، منها :

فَعْلاَء: هي من الضرب الثاني من ألف التأنيث, هو الألف الممدودة نحو حمراء, خضراء و سوداء[26]. تكون على فعلاء فيهما فالاسم نحو القوباء والرخصاء و الخيلاء[27] .

نحو ضَهْيَاء[28]، وصَحْرَاء، "وسَيْنَاء... وجمهور العرب على فتح سين سَيْنَاء فالألف فيه للتأنيث كصحراء ... وكِنَانَة تكسر السين "[29]، وفي كون الألف في فِعْلاء المكسورة العين للتأنيث خلافٌ ، أما البَصْرِيُّونَ فعندهم أن "ألف فِعْلاء لا تكون للتأنيث بلْ للإلحاق كعِلْبَاء"[30] ، وأما الكُوفِيُّونَ فـ"يثبتون أن همزة فِعْلاء تكون للتأنيث"[31] ؛ لذا عدَّ البَصْرِيُّونَ ألف سِيناء للإلحاق ، وعدَّها الكُوفِيُّونَ للتأنيث [32] ، وقد احتج الكُوفِيُّونَ لصحة ما ذهبوا إليه – وهو كون ألف فِعْلاء للتأنيث – "بقَوْلِه تَعَالَى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِيْنَاءَ }[33] بمنع الصرف ، وخرجه البَصْرِيُّونَ على أن المنع للعلمية والتأنيث المعنوي، لا للتأنيث بالألف "[34]، والذي يظهر أن مصدر ابن عقيل هنا شيخه أبو حَيَّان فإنه قد ذكر أن سِيْنَاء مكسورةَ العين ممنوعةٌ من الصرف "للتأنيث اللازم... عند الكُوفِيِّينَ؛ لأنهم يثبتون أن همزة فِعْلاء تكون للتأنيث ، وعند

البَصْرِيِّينَ يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة ، أو العلمية والتأنيث ؛ لأن ألف فِعْلاء عندهم لا تكون للتأنيث بَلْ للإلحاق عِلْباء ودرحاء"[35].

فَاعِــلاء : يكون على فاعلاء في الأسماء نحو : القاصعاء و النافقاء و والسابياء , ولانعلمه جاء صيغة[36] .

نحو: قَاصِعَاء[37].

فَعَـالاء : مطلق العين أي مَضمومها و مفتوحها و مكسورها نحو دبوقاء , و برساء لغة في البرساء وهم الناس [38] . التاء:لى ثلاثاء وبركاء و عجاساء أي تقاعس وقد جاء وصفاً , قالوا : رجل عيابـاء , طباقاء[39] .

التاء :

ذكر أبو حَيَّان أن "أصل دخولها في فصل وصفِ المؤنثِ مِنْ وَصْفِ المذكر، نحو: ضاربة، وضارب"[40] ، لكنها "قد تأتي لفصل الأسماء الجامدة"[41] ، نحو: امرؤٌ وامرأة[42] ، ومنه "الشيطان...

وإذا كان الوصف مختصاً بالمؤنث فالقياس أن تسقط تاء التأنيث، قال أبو حيان : "الوالدات جمع والدة بالتاء، وكان القياس أن يقال : والدٌ، لكن قد أطلق على الأب، ولذلك قيل فيه وفي الأم: الوالدات، فجاءت التاء في الوالدة للفرق بين المذكر والمؤنث من حيث الإطلاق اللغوي، وكأنّه روعي في الإطلاق أنهما أصلان للولد والمؤنث من حيث الإطلاق اللغوي، وكأنّه روعي في الإطلاق أنهما أصلان للولد فأطلق عليهما والدان" [43] ، وقد ذكر المستشرق الألماني بروكلمان أنّ في كل اللغات السامية كلمات كثيرة بلا علامة تأنيث، وخصَّ لعربية في أن الصيغ ا لتي تعبر عن الأحوال الخاصة بالمؤنث الناتجة عن خصائص ذلك الجنس، مثل عاقر وحامل ومرضع تستغني مطلقاً عن علامة التأنيث[44].

وبعد هذا العرض الموجز الملامح ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغات عامّ ة والعربية خاصّة ... أقدم وصفاً تحليلياً في العامية العراقية وتاريخها و واقعها في العراق . يشمل جدل اللهجات العامة واللغات الأصلية والعلائق الخاصة بين هذه وتلك حيزاً واسعاً في العلوم اللسانية الحديثة والعلوم القريبة منها والمتداخلة معها[45] .

فقد كانت اللغات العامّ ية طوال عصور عدة ، ومن غير شك أن العصور العباسية قد شهدت هذه الأنماط العامّ ية ، وأن كُتب الجاحظ لدليل وشاهد على أن البصرة والكوفة وأمصارًا أخرى كانت تصرف أمورها في عاميات تقرب وتبعد عن اللغة الفصيحة. لقد ذكر الجاحظ أن يزيد بن مُفرّغ الحميري الشاعر — وقد اقتيد في شوارع البصرة وهو على حمار؛ لأنه نال من زياد بن سُمي ة – كان الأطفال يهزأون به مرددين كلامًا فارسيًّا وهو يجيبهم بالفارسية مُعرِّضًا بأم زياد سمية واصفًا إياها بـ " روسبي " أي البغيّ[46] .

وحسبك أن تعرف أنّ للفارسية تأثيرًا كبيرًا في لغة البصرة ، فقد شاع في أعلامها البلدانية طريقة في التسمية جرت على النحو الفارسي، وهي الأعلام المختومة بألف ونون مثل : زُبَيْران وهو موضع منسوب إلى الزبير، ومنه عُثْمانان وطَلْحتان وزَيْدان ومُهَلَّبان وقُتَيْبان وحَمْرانان وغيرها كثير أيضًا . وهي منسوبة إلى عثمان وطلحة وزيد والمهلَّب وغيرهم . ولقد استوفاه البلاذريّ في " فتوح البلدان " وعنه أخذها ياقوت في " معجمه " .

وما زال شيء من هذا في أيامنا هذه يحمل هذا الوسم الأعجمي في أعلامهم، فنحن نجد اليوم : يُوسْفان و "جيبان" بجيم أعجمية أو كتيبان بالكاف، ومن غير شك أنها قُتيبان القديمة التي مر ذكرها، وعُوَيَّسيان ولا أدري إلى من نسب هذا المكان ومثله " مهيجران" بإمالة الياء، وأكبر الظن أنه " مهاجر " منسوب إلى "مهاجران" وهو أحد من الناس نجهله[47].

وقد عرَّض الجاحظ في "البيان" بلغة الكوفة وأشار إلى عاميتها وشيوع الدخيل الأعجمي فيها فقال : إنهم يسمون السوق " وازار " والمربَّعة "جهارسو" والقثاء " " خيار " وغير هذا جد كثير[48] .

ومن المفيد أن أشير إلى أن لغة العراق في البصرة والكوفة وفي غيرهما من الأمصار قد داخلتها الألفاظ الأعجمية وشاع فيها اللحن، كما حدثتنا المصادر . ولابدّ لي من أن آتبين أن ما يتصل بالحِرَفِ والمِهَنِ من اللغة المحكية كان عامرًا بالدخيل الأعجمي، ومن ذلك ألفاظ الملاحة والفلاحة وسائر الصناعات الأخرى . وذلك لان اللغة كائن حي يخضع للتطور والتغير من جيل إلى أخر فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها والمحافظة على خصائصها لان اللغة ليست في الحقيقة إلا عادات صوتية[49].

ألا ترى أن العراقي البصري إلى يومنا هذا يستعمل البَرْبَنْد وقد حولها إلى " فَرْوَنْد " وهي الأداة المستخدمة في صعود النخل، وهي من غير شك فارسية محضة . وأن الكوفي وغيره من سكان المناطق الوسطى كبغداد مثلاً يستعملون التَبَلْيا للآلة نفسها وقد ذكرهما الجاحظ في "البخلاء"[50] .

والتبليا آرامية محضة، ومثله "السُّكَّان" لسكان السفينة، و "النوخذاه" للعامل في السفينة، و "المردذلك مشرقًاع به الملاح سفينته، وكذلك " شكاره" لقطعة صغيرة من الأرض تزرع فتعود غلتها إلى أحد من الناس يخصونه بها كما يفعل المزارعون، أي يعطونها إلى العامل في المضخة أو لرجل الدين الذي يساكنهم أو لغيرهما من خاصتهم ، وهي كلمة آرامية استعملها العرب وما زالوا يستعملونها في العراق[51].

ولا أريد أن أقصر العامية العراقية في بدايتها وشيوعها على العصور العباسية، ولعلها ورثت شيئًا من ذلك في عصور سلفت . ولعلي استطيع أن أقول : إنّ شيوع اللحن

كان علامة بارزة في هذه العاميات التي عمت بلاد العرب وتجاوزت ذلك مشرقًا ومغربًا .

فان تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي , يعد امراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أية لغة , ذلك لأنّ احتكاك اللغات ضرورة تاريخية , واحتكاك اللغات يؤدي حتماً إلى تداخلها[52] .

ولقد بقيت العامّية إلى جوار الفصيحة في العراق طوال العصور العباسية، وهكذا كان الأمر إلى نهاية عصر الدولة العثمانية . وفي هذه الحقبة المتأخرة لم يبق للفصيحة من القدر ما كان لها طوال العصور المتلاحقة، بس ببٍ من شيوع الأمية والجهل وتضاؤل التعليم، فقد اقتصر على طائفة قليلة، فعفت دور العلم وقلت المدارس، وانتهى الناس إلى أمية شاملة .لأنّ ظاهرة التباعد بين اللهجات العامية , والتي تع دُّ اصطلاحيا اللغة المنطوقة وبين اللغات الاصلية والرسمية أي ما يمكن عدّها اللغة الملتوية القادمة منها ليست واحدة ولا هي متشابهة فهي قد تصل الى درجة من التباعد والاختلاف تصبح فيها لهجة ما مختلفة عن اللغة الاصلية[53] .

أعود إلى العامية العراقية المعاصرة فأقول : إن جمهرة من أهل العلم في عصرنا قد كتبوا فيها، وليس ذلك تعصبًا لها ودفاعًا عنها، ولكنه اجتهاد منهم في أن ذلك يخدم الفصيحة التي هي الغاية المرجوة، لقد كان بين هؤلاء فلان وفلان من صفوة الأسرة الآلوسية الشهيرة، وكان بين هؤلاء الزهاوي والشبيبي والرصافي وهم جلة العلماء والشعراء . وقد سبق هؤلاء الرجال الشيخ الطالقاني والسيد مصطفى ا لخليل الكرخي والسيد عبد اللطيف ثنيان والأب أنستاس ماري الكرملي وغيرهم . ولا نشك في أنّ هذه الصفوة من العلماء قد شاركوا مشاركة جادة في خدمة العربية الفصيحة قبل اهتمامهم بهذه العامية[54] .

لقد تناول هؤلاء ألوان العامّ ية بالبحث والدرس من شعر ومثل وأساليب وألفاظ. ولقد بلغ من عناية أحدهم وهو عبد اللطيف ثنيان أن صنع معجمًا للألفاظ العامية البغدادية. ثم خلف من بعد هؤلاء نفر استأنفوا العمل منهم : الشيخ جلال الحنفي وعبد الرحمن التكريتي[55] وغيرهما

ونستطيع أن نلمح في العامية العراقية ثلاثة أنماط هي : النمط الجنوبي، والنمط الأوسط، والنمط الشمالي ، وفي كل واحد من هذه نتبين أنه يشتمل على لون حضري وهو ما يعرف به أهل الحواضر ، ونمط ريفي قروي . ولا نغفل أن يكون في النمط الجنوبي لون بدوي يتبيَّن في البادية الجنوبية التي هي لِصق بمشارف القرى والأرياف الجنوبية. ومثل هذا واضح كل الوضوح في النمط الأوسط والنمط الشمالي . ولعل من العسير علينا أن نصل إلى خرائط واضحة في الأطلس اللغوي الذي يبرز هذا التوزيع الجغرافي، وذلك لتداخل هذه المواد من حيث الخصائص اللغوية أصواتًا ودلالات[56] .

ومن المفيد أن أشير إلى أن لغة بغداد العامية شيء لا يمكن وصفه وضبطه؛ لأن هذه المدينة الواسعة قد التقت فيها عناصر شتى من حضريين من الحواضر العراقية المختلفة وقرويين وبدو وعناصر أخرى غير عربية . ولا أريد أن أغفل ذكر الدراسة التي صنعها المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ونشرها بالفرنسية منذ أكثر من خمسين سنة، ثم ترجمها قبل أكثر من عشر سنوات الدكتور أكرم فاضل العراقي، وهذه الدراسة قديمة قد تكون غير وافية بالمطالب العلمية في عصرنا هذا . إنها تقصر في كثير من الضرورات اللغوية[57] .

غير أنّ الفصيحة تعاني من مشكلات كثيرة أهمها أننا مازلنا نجهل الكثير من وسائل تعلم هذه اللغة ولا سيمّ ا نحوها. وكأن النحو مادة لا علاقة لها باللغة يقرؤها الطالب فيضيق بها ذرعًا فلا تدخل في سلوكه اللغوي . ومن ثم يشيع اللحن والخطأ

ويصبح هذا اللحن والخطأ كأنه اللغة الفصيحة ويتردد هذا النمط من الخطأ المسموع، وكأنّ في أنفسنا ميلاً إلى الأخذ به بل نهمّ إلى هذا الأخذ نحن الذين ندعو ا إلى الفصيح. وبذلك تكون لغة جديدة هي العامية الفصيحة ، أو بعبارة أخرى هي العامية الجديدة[58] .

العامية العراقية من حيث التذكير والتأنيث

تكاد أن تكون (التاء) العلامة الاكثر شيوعاً للتأنيث في العامية العراقية ويتضح ذلك مما هو مسموع من أفواه العامة وبذلك يسلكوا مسلكاً مغايراً لما هو معروف في اللغة العربية وأدناه مقارنة بين ما هو دراج في العامّ ية على ألسنة العامة وفي الصحف والمجلات ونشرات الاخبار وبين ما هو مثبت في لغتنا العربية نلخصه في فقرات :

الألفاظ التي وردت في العربية الفصحى مؤنثة أو يستوي فيها التذكير والتأنيث , أو خالية من إحدى علامات التأنيث , تؤنث بالتاء , وذلك في مثل :

الألفاظ الدالة على أحوال المؤنث أو يشترك فيها الجنسان (المذكر والمؤنث) والتي تكون على وزن فاعل مثل عانس وطالق وحامل وفعول مثل عجوز وعروس وهذا الأصل في اللغة فيقال رجل عانس وإمراة عانس وشيخ عجوز وإمراة عجوز , أما في ما ينطق على لسان العامة فيتحول وزن (فاعل) الى (فاعلة) كما في عانسة وحاملة وطاهرة ويتحول وزن (فعول) الى فعولة مثل عجوزة[59] .

تؤنث العامة لفظة (زوج) فيقولون (زوجة) وهم يريدون زوج الرجل وان أهل الحجاز يستعملون لفظ (الزوج) أمّا عند تميم فيلفظونها (زوجة) وقد ورد استعماله في القران الكريم "قلنا يا أدم اد خل انت وزوجك الجنة "[60](البقرة35) وبهذا تكون العامية العراقية قد سلكت مسلك بني تميم في استخدام هذه اللفظة .

ألفاظ وردت في العربية الفصحى مؤنثة عن طريق السماع , أي انها لا تلتحق بها علامة من علامات التانيث وفي العام الدراج يؤنثونها بإ لحاق تاء في آخرها مثل العقرب,الكبد, وهذه اللفاظ سمعت من العوام على انها (العقربة , والكبدة) . الأسماء المؤنثة التي جاءت في اللغة العربية على وزن فعلا ء , مثل : (زرقاء وخضراء وحمراء وعرجاء وعمياء), ويلفظها العامة بإسقاط الألف والهمزة ويلحقون آخرها تاء فتكون (زرقه وخضره وحمره وسودة وع رجه وعميه) , وهذا الامر مشترك في العاميات العربية وليس العراقية فحسب ولعل السر في هذا هو استسهال استعمال التاء المربوطة والتي يقفون عليها كهاء مقابل استعمال الالف المقصورة والتاء الممدودة والتي هي مستبعدة عن كلام العامة .

الأسماء التي جاءت في العربية الفص حى مؤنثة بألف التأنيث المقصورة على وزن (فُعلى) مثل شبعى وغضبى وكسلى وحيرى فإنها في العامّ ية تؤنث بوضع تاء آخرها فتجيء على وزن (فعلانة) مثل : شبعانة وغضبانة وكسلانه وحيرانة , وقد أجاز المجمعان المصري والعراقي , عند انعقاد دورتهما عام 1965 م أن يؤنث كل وصف على صيغة (فعلان وفعلانة) كما مرَّ بنا[61] .

ألفاظ وردت مذكر عن طريق السماع الا انها تست عمل كمؤنث مثل هذه البطن والبطن مذكر وهذه البئر وهذه الساق والاصل هذا البطن وهذا الساق وهذا البئر لانها مفردات مذكر . وهنا لابد من الاشارة الى ان هناك مفردات قد ورد ذكرها في المعاجم على أنها مذكر عند قبيلة ومؤنثة عند اخرى ومثالها

السماء : يذكره التميميون ويؤنثه الحجازيون .

التمر : يذكره التميميون ويؤنثه الحجازيون .

كذا الذهب والسوق والطريق وغيرها من الكلمات[62] .

تأنيث الصفة إذا كان الموصوف مضافاً إلى مؤنث، مثل : عدد المحاضرات القليلة مجهد، وعدد الساعات الطويلة ضياع للوقت والصواب : الطويل والقليل لأنهما صفة للمذكر.

إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه جاز أن يكتسب التأنيث منه، قال سيبويه : " وقد أدخلوا التأنيث فيما هو أبعد من هذا، أدخلوه فيما لا يتغير منه المعنى لو ذكّرت، قالوت: ذهبت بعض أصابعه " وقال : "إنما أنث(بعض) لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه، ولو لم يكن منه لم يؤنّثه، لأنه لو قال : ذهبت عبدُ أمِّك ، لـم يحسن، وساق أمثلته على التأنيث من قول الأعشى :

وتشرقُ بالقول الذي قد أَذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صدُر القناةِ من الدمِ

لأن صدر القناة مؤنث، ومثله قول جرير :

كفى الأيتامَ، فقَد أبي اليتيمِ إذا بعضُ السنينِ تعرَّفتنا

لأنّ بعض ههنا سنون ، ثم أوضح جواز التأنيث وعدمه في هذه الحالة ، ولكن ترك التأنيث عنده أقوى، فيقول : وترك التاء في جميع هذا الحدّ والوجه، وإثبات التاء فيه حسن لكثرته في كلامهمً . غير أننا نجد الفعل في الاستعمالات المعاصرة لا يكاد يفارق التأنيث في هذه الحالة، وقد مرت بعض العبارات على هذا النحو، فهم يقولون: أجرت بعض المستشفيات عمليات ناجحة ، وقامت بعض المدارس بالتدريب اللازم ، واحتفلت بعض البلاد بالعيد، ولا نكاد نسمع تذكير الفعل في مثل هذه التعبيرات ، وربما عدّه بعضهم خطأً، مع أنه الحد والوجه – كما يقول كما يقول سيبويه.

تنص كتب النحو على أنّ الفعل الذي يرفع اسماً ظاهراً مجازي التأنيث يجوز أن تلحقه التاء ، وأن يتجرد منها، تقول : طلعت الشمس، وطلع الشمس، وإن كان

التأنيث أرجح ، إلا أنّ الاستعمال المعاصر على إيثار التأنيث ، وتجنب التذكير، فلا نكاد نسمع من يقول: طلع الشمس، وامتلأ الأرض بالعشب، مع جوازها في اللغة .

إذا رفع الفعل ضميراً متصلاً يعود على مؤنث حقيقي أو مجازي، وجب أن تلحقه علامة التأنيث، ولكنهم لا يلتزمون ذلك في المؤنث المجازي، فهم يقولون: واليمين وقع على فلان، كأس العالم اعطيت للفريق الالماني وهكذا .

وكذا إذا وصف المؤنث المجازي أو عاد عليه الضمير، فهم يقولون : وكأس الشراب الفضيّ، ورأيت بئراً عميقة ولا يقولون : كأس الشراب الفضية، ولا بئر عميقة.

وهناك نوع أسماء تشتمل على تاء التأنيث الدالة على الوحدة وتستعمل للمذكر والمؤنّث، مثل شاة، ودجاجة ، وسلحفاة ، وبقرة، وهي لا تطلق في الاستعمالات المعاصرة إلا على المؤنث، فلا نسمع من يقول : هذا شاة للخروف ولا هذا دجاجة للديك) ولا هذا بقرة (للثور) مع جوازه في اللغة –كما سبق.

تأنيث الألفاظ المذكّرة، مثل رأس، وضرس، وبطن، وساعد، ومستشفى، فيقولون : رأسي تؤلمني، ورأسه عالية، وضرسي تؤرقني، وبطني منتفخة، وله ساعد كبيرة

والصواب : رأسي يؤلمني، ورأسه عالٍ، وبطني منتفخ، وساعد كبير .

استعمال جمع المذكر السالم في غير العقلاء، وربّما يّسروا ذلك بإيثار الياء على الواو، فهم يقولون : الملابس متسّخين والأبواب مفتوحين، والشبابيك مكسّرين وهكذا وإنما يكون جمع المذكر السالم في أعلام أو أوصاف الذكور العقلاء أما غير العاقل كما في هذه الملابس متسخة أو متسرخات.

تبعيض المؤنث من المذكّر، مثل كانت فاطمة من الأوائل بين زميلاتها، وفي مقدمة الناجحين في مدرستها، وتسلمت جائزتها مع الفائزين من بنات الثانوية والصواب : من الأوليات أو الأُول، وفي مقدمة الناجحات، ومع الفائزات إن دلّ الحال على التأنيث، أو وجدت قرينة كما في الأمثلة.

إذا كان الفاعل جمع تكسير المذكر عاقل جاز إلحاق تاء التأنيث بالفعل وجاز تركها – كما سبق – ولكن لا يقول أحد : نجحت الطلاب، وسافرت الأولاد، ورحلت السكان، وربما كان الذوق معهم. وهكذا تبدو ظاهرة الجنس من الظواهر الصعبة التي يقف الدارس إزائها حائرا في تحديد الضوابط التي تتحكم فيها وعلى هذا الاساس فإن معرفة سبب تذكير وتأنيث اللفظ أو استوائها بين التذكير والتأنيث أمر غامض ويرجع الى ما تعلق في اذهان الشعوب من أفكار متباينة بخصوص الجنس وتحديده ولهذا قال الدكتور إبراهيم انيس : " يجب أن نعترف بتلك الحقيقة الملموسة في كل اللغات وهي أن فكرة التانيث والتذكير قد اختلطت بعناصر لاتمت للمنطق العقلي بسبب "[63] .

وأخيرا لا يمكن أن نضع ظاهرة تحديد الجنس بمقاييس ثابتة وقد المح الى هذا الامر قديما آبن التستري الكاتب حيث قال " ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قيا س مطرد ولالهما باب حصرهما كما يدعي بعض الناس ".

الحمد لله رب العالمين على توفيقه للإنسان للبحث والمطالعة وما كنت هدف هذا الجهد المتواضع الا ليبقى ثوب اللغة العربية ناصعاً من أي شوائب يمكن ان تلقيها عليه ألسن العامية من غير اكتراث لمكانة هذا اللغة السامية التي خصها الله لتكون اللغة الخاصة بكتابه المقدس التي يحاكي فيه عقول عباده , فالمحافظة عليها واجب شرعي لما لها دور كبير في فهم القران وبيان بواطنه .أشار البحث الى ماهية المذكر والمؤنث على نحو الإيجاز ثم عرّج على بيان تاريخ العامّ ية وكيف انها خالطت لغتنا العربية نتيجة اختلاطها بلغات أخرى أو لاجل تسهيل استعمال اللغة على ألسنة الناس فكانت النتيجة شيوع أخطاء لابد من الإشارة اليها مثلما حصل في موضوعنا هذا. واخيراً نسأل الله لتوفيق والسداد لما فيه خدمة عباده إنّه سميع الدعاء.

الهوامش

(**1**) المذكر والمؤنث ، (أبو بكر الانباري) , 51 .

(**2**) البقرة :35 .

(**3**) المفردات 384/1 .

(**4**) ينظر : مقدمة محقق المذكر والمؤنث (لأبي بكر الانباري) 1–12 .

(**5**) اللغة (فندريس) : 131 .

(**6**) من أسرار اللغة : 160 .

(**7**) البلغة : 38 .

(**8**) المصدر نفسه : 40 .

(**9**) مقدمة البلغة : 1–12 .

(**10**) الكتاب : 394/3 – 395 , 406 , شرح ابن عقيل 91/4 .

(**11**) البلغة : 65/1 .

(**12**) الأصول في النحو : 407/1 – 411 .

(**13**) مجمع الهوامع (السيوطي) 61/6 , الكتاب : 22/1 , 241/3

(**14**) تفسير البحر (أبو حيان) 364/1 .

(**15**) الكتاب (سيبويه) 255/4 .

(**16**) الكافية في النحو 161/2 .

(**17**) الحشر :14 وتنوين شتى قراءة مبشر , مختصر شواذ القران 154 .

(**18**) اللباب:602/18, (أبو حيان) 248/8.

(**19**) المقتضب : 232/2 – 338 , اللمع في العربية لابن جني 152/1 تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 255/1 .

(**20**) معجم تيمور الكبير 127/2 .

(**21**) العين (الفراهيدي)442 .

(**22**) الأعراب المحيط :448/1 .

(**23**) الكتاب : 257/4 , ينظر : أبنية الصرف , 164 ,220, 221 .

(**24**) ينظر : شرح الاشموني 105/4 .

(**25**) ينظر : الكتاب (سيبويه) 212- 214 .

(**26**) الأصول في النحو : 411/2 – 412 , شرح ابن عقيل 97/4 .

(**27**) التطور النحوي للغة العربية :113 .

(**28**) الكتاب : 257/4 .

(**29**) الضيهاء من البناء : التي لم تحظ قط (العين) : 555 .

(**30**) الاعراب المحيط من تفسير البحر المحيط : 364/6 .

(**31**) علباء : عرف في الفق .

(**32**) الاعراب المحيط : 364/6 .

(**33**) ارتشاف الضرب : 646/2 – 647 .

(**34**) المؤمنون : 20 .

(**35**) المساعد على تسهيل الفوائد : 328/3 .

(**36**) الاعراب المحيط : 364/6 .

(**37**) الكتاب (سيبويه) : 250/4 . القاصعاء : حجر يحفر اليربوع , لسان العرب مادة (قصع) .

(**38**) ينظر : شرح ابن عقيل 98/4 .

(**39**) ينظر : الكتاب 254/4 .

(**40**) ارتشاف الضرب : 637/2 .

(**41**) شرح جمل الزجاجي : 369/2 , شرح ابن عقيل 91/4 .

(**42**) المقرب (لابن عصفور) 71/2 .

(**43**) الاعراب المحيط : 487/1 .

(**44**) الاعراب المحيط : 222/2 .

(**45**) فقه اللغات السامية (بروكلمان) : 95 .

(46) الحضور الاكدي والارامي والعربي الوضيح : 11 .
(47) البيان والتبين : (الجاحظ) .
(48) بحث العامّية في العراق : (إبراهيم السامرائي) 35 .
(49) البيان والتبين .
(50) الأصوات اللغوية (إبراهيم انيس) : 213 .
(51) النخلة سيدة الشجر : 35 .
(52) اللغة (فندريس) : 348 .
(53) الحضور الاكدي والارامي : 11 .
(54) نظرة عامّة في لغة بغداد العامية (انستاس الكرملي) .
(55) صفحات من قاموس العوام في دار السلام : 3 .
(56) الحضور الاكدي والارامي : 29 .
(57) موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين : 99/1 .
(58) مقدمة علاء اللامي في الحضور الاكدي : 10 .
(59) البلغة لابن الانباري : 83- 84 .
(60) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : 29 .
(61) مؤتمر المجمع العلمي العراقي والمصري : 1965 .
(62) معجم مقاييس اللغة مادة (سمو) .

المصادر والمراجع

1 –ابنية الصرف في كتاب سيبويه : الدكتوره خديجة الحديثي / الطبعة الأولى بيروت – لبنان /2003 .

2 –ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الاندلسي (754ه) تحقيق رجب عثمان محمد / د. رمضان عبد التواب /1998 .

3 –الأصول في النحو :أبوبكر محمد بن السراج (316ه)تحقيق عبد الحسين الفتلي /مؤسسة الرسالة/لبنان–بيروت.

4 –البخلاء : أبو عثمان بن بحر (255هـ) الجاحظ / تحقيق طه الحاجري دارالمعارف

5 –البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث :أبو البركات ابن الأنباري،تحقيق د .رمضان عبدالتواب،دارالكتب/1970م.

6 –البيان والتبين .

7 –تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .

8 –التطور النحوي في اللغة .

9 –شرح ابن عقيل .

10 – شرح الاشموني .

11 – شرح جمل الزجاج .

12 – العين : لابي عبد الرحمن / الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) دار احياء التراث العربي / بيروت – لبنان /2005 .

13 – فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان / ترجمة د. رمضان عبد التواب / جامعة عين شمس / 1977 .

14 – الكافية في النحو : جمال الدين أبي عمروعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب / شرح رضي الدين الاستربادي دار الكتب العلمية بيروت 1988 .

15 – الكتاب : لابي بشير عمروبن عثمان بن منير (180هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون الهيئة المصرية /1977 .

16 – اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص عمروبن عادل الدمشقي (880هـ) تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود / الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت / 1998 .

17 – اللغة : ج فندريس / تعريف عبد الحميد الدواخلي / محمد القصاص / مكتبة الانجلو المصرية / البيان العربي .

18 – اللمع في العربية : ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي (392هـ) تحقيق فائز فارس / دار الكتب الثقافية / الكويت .

19 – لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة : غالب فاضل الموصلي دار الحرية للطباعة / بغداد /1978 .

20 – مختصر شواذ القران : من كتاب البديع (ابن خالويه) .

21 – المذكر والمؤنث : ابو بكر الانباري تحقيق محمد عبد الخالق ع ضيمة مطابع الاهرام / القاهرة /1981 .

22 – المساعد على تسهيل ا لفوائد : بهاء الدين بن عقيل / تحقيق محمد كامل / ام القرى /1982 .

23 – من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو المصرية القاهرة / الطبعة السادسة .

24 – معجم تيمور الكبير في الأ لفاظ العامّية : أحمد تيمور / تحقيق د. حسين نصار – الهيئة العامة / 1971 .

25 – المفردات .

26 – المقتضب .

27 –النخلة سيدة الشجر : عبد القادر باش اعيان العباسي / دار البصري – بغداد / 1964 .

الدوريات

- وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية / دورة 44 / 1978 .
- بحث العامية في العراق د . إبراهيم السامرائي / الجلسة الخامسة , العدد الحادي والاربعين 1978 صفحة 35.
- مؤتمر المجمع العلمي العراقي , 1965 .
- موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين / حميد المطبعي دار الشؤون الثقافية / بغداد 1995 .

Masculine and feminine in the Iraqi Colloquial Speech and its relationship with the Iraqi Classical Language ((A Study of Inherited))

Dr. Safa Rida Obeid
College of Sciences / University of Al- Nahrin

(**Abstract Research**)

The phenomenon of Masculine and feminine is one of the important grammatical studies because of their influence on the sentence structure, words come either masculine and feminine type when using one of them in place of the other , this displacement might cause distribution in the sentence itself because, the structure of the sentence is not free from becoming a subject or request or even as a message and the relationship of the phenomenon between the masculine and feminine type of words in language study is a part of which that will never separate .